

الحلقة الثانية والعشرون

من كتابات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دون رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

على أي أساس تبني علاقتك مع الله مستمعي؟ هل تحاول إرضاءه عن طريق أعمال الإحسان والصلاح؟ وهل تعمل جاهداً لكي تقوم بواجباتك الدينية من صلاة وصوم وحج وغيرها؟ وهل تظن أن هذه الواجبات ستقربك من الله تعالى؟ وهل تعلم مستمعي ماذا كان أهم طلب لله من الإنسان منذ أن خلقه؟

لقد أجابنا كاتب سفر العبرانيين عن كل هذه التساؤلات. بأن خصص أصحاباً كاملاً من سفره للحديث عن موضوع الإيمان. الإيمان الذي بواسطته يتبرر الإنسان أمام الله. وسرد لنا بالتفصيل عن دور الإيمان في حياة رجال الله الأتقياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. كتب كاتب سفر العبرانيين قائلاً: «وَأَمَّا الْإِيمَانُ فَهُوَ الثَّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالْإِيْقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى. فَإِنَّهُ فِي هَذَا شَهْدٍ لِلْقَدَمَاءِ. بِالْإِيمَانِ نَفَهُمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أَتَقَنَّتْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يَرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ. وَلَكِنْ بِدُونِ إِيْمَانٍ لَا يُمَكِّنُ إِرْضَاؤُهُ، لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللَّهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مُوجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ» (سفر العبرانيين ١١: ١-٣، ٦).

إذن يبدو واضحاً أننا نستطيع تعريف الإيمان بأنه الثقة بما يُرجى، أي تصديق وعود الله من نحوي بشكل كامل. وهو أيضاً الإيقان بأمر لا تُرى، فأنا لا أستطيع أن أقول أنني أو من شيء منظور، أراه بعيني. فلا يستطيع مثلاً أحد أن يقول أنه يؤمن بوجود الشمس، لأنها حقيقة واقعة. وغيرها الكثير من الأمثلة. إن الإيقان بأمر لا تُرى، تعني الإيمان بأمر لا يستطيع أن يراها الإنسان إلا عن طريق الإيمان. فالإيمان بوجود الله وخلق للعالم والأكون، وخطته لخلاص الإنسان، كلها أمور نراها حقيقة واقعة عن طريق الإيمان فقط. سنتابع التأمل بهذه الآيات الهامة فابقوا معنا أعزائي.

مستمعي الكريم، إن الإيمان إذن هو الأساس الصحيح لعلاقتنا مع الله خالقنا. فعن طريقه كسب رجال الله قديماً شهادة حسنة أمام الله والناس. وهو ما قصده كاتب سفر العبرانيين بقوله: «فَإِنَّهُ فِي هَذَا شَهْدٍ لِلْقَدَمَاءِ». أي عن طريق الإيمان تبرر رجال الله القديما

أمام الله. ثم أضاف كاتب سفر العبرانيين قائلاً: «بِالإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أَتَقَنَّتْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ». أجل، لقد خلق الله الأكوان والعوالم كلها من العدم، من لا شيء. قال كُن فكان. فإيماننا إذاً هو بالله الذي خلق الكون كله بكلمته. وكلمة الله لها قوة هائلة.

ولهذا وصل كاتب سفر العبرانيين إلى هذه النتيجة الهامة عندما كتب قائلاً: «لأنَّهُ يَجِبُ أَنْ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللَّهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مُوجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ». إن بداية الإيمان تكون بالإيمان بوجود الله، وخلقته للعوالم والأكوان، وليس هذا فحسب بل بالإيمان أن الذي يثق به سينال مكافأة عظيمة. إن مجرد الإيمان بوجود الله بحد ذاته لا يكفي، إن لم يترافق مع الإيمان القلبي بوعود الله، أي تصديق مواعيده والثقة بها.

وهنا تحدّث كاتب سفر العبرانيين عن سلسلة طويلة من رجال الله في القديم، الذين اختبروا الإيمان ووثقوا بوعود الله ومواعيده تجاههم. سنأتي على ذكر البعض منهم الآن. فتحدّث عن نوح الذي أنذره الله بالطوفان الآتي، فصدّق كلام الله وبنى فلماً أي سفينة ضخمة كانت وسيلة النجاة له ولعائلته. وحصل بالتالي على برّ الله بواسطة الإيمان. ثم تحدّث عن إبراهيم الخليل أبي المؤمنين، الذي لبّى دعوة الله، فترك وطنه وانطلق إلى أرض أخرى، وعده الله أنه يورثه إياها.

وبالإيمان إبراهيم أيضاً عندما امتحنه الله قدّم اسحاق ابنه الوحيد ذبيحة، إذ آمن أن الله قادر على إقامة ابنه من الموت. وهكذا حصل إذ نجّى الله ابنه من الموت. وبالإيمان أقام موسى كليم الله ذبيحة الفصح ورشّ الدم، لكي لا يمسّ الملاك المهلك أبقار الشعب. ثم اجاز الشعب في البحر الأحمر دون أن يغرق أحد منهم.

ولعلّ أبلغ مثال على أهمية الإيمان، هذه الآيات التي دوّنها لنا كاتب سفر العبرانيين بقوله: «فِي الإِيمَانِ مَاتَ هُوَلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقْرَبُوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنَزَلَاءُ عَلَى الْأَرْضِ... وَلَكِنْ الْآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا. لِذَلِكَ لَا يَسْتَحِي بِهِمُ اللَّهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهُهُمْ، لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً» (عبرانيين ١١: ١٣، ١٦). نعم، يتضح لنا من هذه الآيات المقدّسة أن رجال الله الأقدمين قد ماتوا دون أن ينالوا كل ما وعدهم الله به. ومع ذلك استمروا بإيمانهم وثقتهم بوعود الله، لأنهم كانوا ينظرون إلى المجازاة النهائية في الوطن السماوي. ولهذا إن الله لا يستحي بهم أن يُدعى إلههم، وقد أعدّ لهم مدينة أفضل هي المدينة السماوية.

إذن إن الإيمان بالله وبوعوده الصادقة هو الطريق الصحيح لكي ننال برّ الله، ونحظى برضاه. لكن ماذا نحن الذين نعيش الآن في عصر ما بعد مجيء المخلص المسيح، وما هو نوع الإيمان المطلوب متّاً؟ للإجابة عن هذه التساؤلات الهامة، علينا أن نعود لما كتبه الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل. فبعد أن شرح الرسول بولس عن إيمان إبراهيم والبر الذي حُسب له نتيجة لإيمانه، كتب قائلاً: «وَلَكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ أَجْلِهِ وَحْدَهُ أَنَّهُ حُسِبَ لَهُ، بَلْ مِنْ أَجْلِنا نَحْنُ أَيْضًا، الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبِّنا مِنَ الْأَمْواتِ. الَّذِي أَسْلَمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِنا» (الرسالة إلى رومية ٤: ٢٣-٢٥).

لقد اختلف إذن نوع الإيمان المطلوب متّاً بعد مجيء المخلص المسيح. فنحن اليوم علينا أن نؤمن ليس بالله فقط وبوعوده، بل في الخلاص الذي أعدّه لنا بواسطة المخلص يسوع المسيح. أي نؤمن بموت المسيح على الصليب لكي يكفّر عن خطايانا، وقيامته المجيدة من بين الأموات، وهكذا نتبرر أمام الله. ولهذا تابع الرسول بولس قائلاً: «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبِّنا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (الرسالة إلى رومية ٥: ١). فلكي يبررنا الله، علينا أن نأتي إليه بالإيمان بالمخلص المسيح. وعندئذ يسود السلام بين الله القدوس وبيننا نحن البشر الخاطئة، وتتم المصالحة بيننا، وتصبح لنا بالتالي علاقة روحية مع الله خالقنا.

ألا تود مستمعي أن تحصل على غفران الله الكامل لخطاياك، وتنال برّه، أي تصبح بلا خطيئة أمامه؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات.